﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

فَضلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ عَلى كُلِّ كِتابٍ سابِقٍ

لمّا ثبت أنَّ ما أَنْزَلَهُ اللّهُ سُبْحانَه عَلى موسى عليه السلام كتابُ هدايَةٍ ونورٍ، وهو صادِقٌ في وَعْدِهِ ووعيدِهِ؛ بيَّن اللّهُ تعالى حالَ الكتابِ الذي أَنْزَلَهُ عَلى مُحَمَّد ﷺ؛ وأنَّهُ يزيدُ علَيْهِ في كُلِّ مَعْنًى حسنٍ وأمْرٍ شريفٍ، فيما وردَ فيهِ مِنَ الوُعودِ الصّادقةِ، والأحكامِ العادِلَةِ، والمعاني الفائِقَةِ في النُّظوم العَذْبَةِ الرّائِقَة، معَ الإعجازِ عَنِ الإتْيانِ بآيَةٍ مِن مِثْلِهِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَقْوَمُ﴾: القافُ والواوُ والميمُ تدورُ اشْتِقاقاتُها على أصلين: أحدُهما: جماعةُ النّاسِ، والآخرُ: انتصابٌ أَو عَزْمٌ، ومنَ الأخير قولُهم: قام قيامًا؛ إذا انتصبَ، وقولُهم: قام بهذا الأمْرِ قيامَ عَزْمٍ[2]، ويُقال: قامَ الشَّيْءُ، واسْتَقام؛ أي: اعْتَدَل، واسْتَوى[3]، ومِنه القوامُ وهو العَدْلُ، وقولُ اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي: للتي هي أَعْدَلُ[4].

2) ﴿وَيُبَشِّرُ﴾: الباءُ والشّينُ والرّاءُ تدُلُّ تصاريفُها على ظُهور الشَّيء مَعَ حُسْنٍ وجَمال[5].

والفعلُ (يُبشِّرُ): فِعْلٌ مضارعٌ مِنَ البِشارةِ - بكَسْرِ الباءِ - وهي:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 379 - 380.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قوم).
(3) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (قوم).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (قوم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بشر).

كلُّ خبرٍ صِدْقٍ تتغيَّر بَشرةُ الوجهِ بهِ، وَبناءً على هذا؛ فإنَّ البِشارَةَ تُستعملُ في الخَيْرِ والشَّر، إلّا أنَّها في الخَيْرِ أغلَبُ.

وذهبَ بعضُ أهل العِلْمِ إلى أَنَّ البِشارةَ هيَ الخَبَرُ السّارُّ وحدَهُ، واستعمالُه في غيرِهِ مِن بابِ التَّهَكُّم[1].

3) ﴿أَجْرًا﴾: الهَمْزَةُ والجيم والرّاءُ تدورُ تَصاريفُها على معنى: الكِراء على العمَلِ، وجَبْرِ العظْمِ الكسيرِ، وبين هذين المَعْنَيَيْنِ نِظامٌ يجمعُهما؛ وذلك أنَّ الأجرةَ بمنزلةِ الشَّيءِ الذي تُجبَرُ بها حالُ العاملِ مقابِلَ ما أصابَهُ من كَدٍّ وجُهْدٍ في عمله[2].

والأَجْرُ: ما يعود مِن ثواب العمل دنيويًّا كان أو أخرويًّا، ولا يُستعمَلُ إلّا في النَّفْعِ دون الضّرِّ[3]، والأجرُ في قول الله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، هو ثوابُ العمَلِ الأخرَويُّ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

هِدايَةُ القُرآنِ الكَريمِ لِأَقْوَمِ سَبيلٍ وَأَعْدَلِها

يبيّن الله تعالى أنّ القرآن هو كتابُ الهداية الأخيرُ إلى البشرية، الذي أنزله الله تعالى عَلى نبيِّنا مُحَمَّد ﷺ يُرْشِدُ، ويُسَدِّدُ مَنِ اهْتَدى بهِ للسَّبيلِ التي هيَ أَعْدَلُ مِن غَيْرِها، وهو الإسلامُ، ويُبَشِّرُ هذا القرآنُ أَيْضًا – معَ هِدايَتِهِ – أهلَ الإيمانِ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ تَعالى أجْرًا كبيرًا وثَوابًا عَظيمًا وجَزاء جَزيلًا؛ وذَلِكَ الأَجْرُ شامِلٌ لأجرَيِ الدُّنيا والآخرة[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ الآيَةِ عَمّا قَبْلَها:

أَثَرُ الاسْتِئْنافِ البَيانِيِّ في إبْرازِ مُتابَعَةِ المُتَلَقّي وَشَوْقِهِ

فُصِلَ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ عمّا

(1) الشَّريف الجرجانيّ، التَّعريفات، ص: 45، والمُناويّ، التَّوقيف على مهمّات التَّعاريف، ص: 78.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أجر).
(3) الرّاغب، المفردات: (أجر).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 392 - 393، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 41، ونخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 283.

قَبْلَها؛ لوقوعِها استئنافًا بيانيًّا، وذلك أنَّ اللهَ سُبحانَهُ لمّا ذكرَ ما يدلُّ على أنَّ ما أَنْزَلَهُ عَلى نبيِّهِ موسى عليه السلام هوَ كتابُ هدايَةٍ وصِدْقٍ في باب الوعدِ والوعيدِ؛ أَوْرثَ ذلك في نفس المتلقّي سؤالًا؛ وهوَ: ما حالُ الكتابِ الذي أنزلَهُ اللهُ تَعالى على نبيِّه محمَّدٍ ﷺ؟ فجاءَ الجواب: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1]، فكان بينَ الجملتينِ شِبْهُ كمالِ الاتِّصالِ.

وذهَبَ ابنُ عاشورٍ إلى أنَّ فصلَ الآيةِ لكونِها استئنافًا ابتدائيًّا، فلا يُقدَّر له سؤالٌ سابقٌ؛ وذلك لأنَّ الكلام عاد إلى المقصد الأهمِّ لهذه السّورةِ، وهو تأييدُ النَّبيِّ ﷺ بالآيات والبيِّناتِ، وأعظَمُ ذلك: القرآنُ الكريمُ[2].

سِرُّ تَأْكيدِ الجُمْلَةِ في صَدْرِ الآيَةِ:

الاهْتِمامُ بِالخَبَرِ وَدَفْـعُ إِنْـكـارِ المُنْكِرينَ

أُكِّد قولُ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ بـ ﴿إِنَّ﴾، والجملةِ الاسميَّةِ، وتَكرارِ ذكرِ المسنَد إليه، تارةً على أنَّه اسمُ ﴿إِنَّ﴾، وتارةً بإضماره فاعلًا للفعل ﴿يَهْدِى﴾، وذلك مراعاةٌ لحال بعضِ المخاطَبينَ، وهُمُ الذين لَم يَنقادوا إلى القرآن الكريم، وأمّا باعتبار أهلِ الإيمانِ؛ فإنَّ التَّوكيدَ في جانبِهم لأجل الاهتمام بمضمونِ الخبَرِ لا لسبْقِ شكٍّ أو إنكارٍ؛ فإنَّ المؤمنَ لا يصدُرُ مِنْهُ ذلكَ، وعلى هذا فإنَّ التَّوكيدَ مستعمَلٌ في مَعْنيَيْنِ؛ وهما: دفعُ الإنكارِ، والاهتمام بالخبَرِ، ولا تنافيَ بين الاعتبارَيْنِ[3].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الإِشارَةِ ﴿هَٰذَا﴾:

قُـرْبُ الـقُـرآنِ الكَريمِ مِنْ أَهْلِ الإيمانِ

في التَّعبير باسْمِ الإشارَةِ ﴿هَٰذَا﴾ مِنْ قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ إشارةٌ إلى عظَمَةِ ما جاءَ به النَّبيُّ ﷺ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 379 - 380.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 39.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 40.

مِنْ عندِ ربِّهِ، والإشارةُ متوجِّهَةٌ إلى حاضرٍ في أذهانِ النّاسِ مِنَ المقدارِ المنزَّلِ مِنَ القرآنِ قَبْلَ هذه الآيةِ الكريمَةِ[1].

وجاءَتِ الإشارةُ ههنا بالقريبِ دونَ البعيدِ؛ للإيماءِ إلى قُرْبِ القرآنِ من أهلِ الإيمان، وقُرْبِه إلى أذهانِ الذين يجادلون في آياتِ اللّه سبحانَهُ؛ وذلك لأنَّهم وإنْ كانوا يُدافعونَهُ عَنْ أنفُسِهم، إلّا أنَّه "يَسْري في أوساطِهم سَريانَ النّورِ المُبْصرِ في وسَطِ الضَّلالِ المُظْلِمِ، فهو قريبٌ مِن أذهانهم، وإن لم يُؤثّرْ في قُلوبِهم لِغَلَبةِ الهَوى والجاهِليَّة"[2].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَهْدِى﴾:

دَوامُ هِدايَةِ القُرآنِ الكَريمِ وَتَجَدُّدُها

جاءَ التَّعبيرُ بفِعْلِ الهدايَةِ مضارعًا ﴿يَهْدِى﴾ في قولِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، للإشعارِ بدوامِ هدايَةِ القرآنِ الكريمِ وتجدُّدِها، فإنَّ هدايَةَ القرآنِ الخَلْقَ ممتدَّةٌ في الأزمِنَةِ المتطاوِلَةِ، وسَيَبْقى هاديًا لَهُمْ.

دِلالَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الهِدايَةِ في ﴿يَهْدِى﴾:

عَظَمَةُ هِدايَةِ القُرآنِ الكَريمِ وَعُمومُها

حُذِفَ متعلِّق فعلِ الهداية ﴿يَهْدِى﴾ مِنْ قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، وذلك لإرادَةِ العُموم؛ إذْ إنَّ حذْفَ المتعلِّق مُؤْذِنٌ بذلك، والتَّقديرُ: (إنَّ هذا القُرآن يهدي النّاسَ كافَّةً لا طائفةً مخصوصةً مِنْهُم)[3]، ولازِمُ ذلكَ إثباتُ عظَمَةِ هذه الهدايَةِ بحيث اسْتَوْعَبَتِ النّاسَ كُلَّهُمْ.

دِلالَةُ حَرفِ الجرِّ (اللّام) في ﴿لِلَّتِى﴾:

هِدايَةُ القُرآنِ الكَريمِ عامَّةٌ؛ تَشْمَلُ مَن حادَ عَنْهُ، إلَّا أنَّ المَدْعُوَّ قَدْ يَقومُ بِهِ مانِعٌ مِنْ سُلوكِ هَذِهِ الهِدايَةِ

قيل: إنَّ حرفَ الجرِّ (اللّام) مِنْ قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ دالٌّ على الغايَةِ، فهو بِمَعْنى (إلى)[4]، وتعديةُ فِعْلِ الهدايةِ باللّامِ مُشْعِرٌ بتضمينِهِ مَعْنى الفِعْلِ (يَدْعو)، فالقرآنُ يُرشِدُ،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 22، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 40.
(2) محمد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4341.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 22.
(4) الواحدي، التفسير البسيط: 13/ 269.

ويَدْعو، وذلك لِأنَّ هدايتَهُ لمّا كانَتْ ظاهرةً بيِّنَةً؛ فإنَّها لا تَقْتَصِرُ عَلى مَنِ اتَّبَعَهُ، بل إنَّ القرآنَ الكريمَ يدعو مَنْ حادَ عَنْهُ إلى الهُدى، وإلى التي هي أقومُ، إلّا أنَّ المَدْعوَّ قَد يُمْنَع مِن سُلوكِ هذِهِ السَّبيلِ لِعِنادٍ أَو كبرٍ أَوْ جُحودٍ أَوْ نحوِ ذلكَ، والحقُّ أنَّ فعل الهداية يتعدّى تارةً بنفسه في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6]، وتارةً يتعدّى باللّام، وتارة بـ(إلى) كقوله: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصافات: 23]، وعندما يتعدّى باللّام دون (إلى)، فإنَّه يُشعر بسهولة تغلغلِ الهداية ووصولِها إلى قلوبهم.

بَلاغَةُ حَذْفِ المَوصوفِ في ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾:

في الإبْهامِ مِنَ الفَخامَةِ ما لا تَكونُ عِنْدَ التَّصْريحِ وَالبَيانِ

حُذِفَ الموصوفُ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾، فلم يقل: إلى الطَّريق أوِ الملَّةِ التي هي أقومُ، وذلك لِنكاتٍ:

إحْداها: أنَّ صاحبَ الذَّوق السَّليم يجدُ لحذْفِهِ ههنا روعةً وهِزَّةً؛ لِما في ذلك مِنَ الفخامَةِ بإبهامِهِ مِمّا لا يجدُها عِنْدَ ذِكْرِهِ والتَّصريح بِهِ[1].

ثانيها: أنَّ في حذْفِهِ اختصارًا واقتصادًا في اللَّفْظِ[2]، لِما يُحقِّقُهُ الحَذْفُ مِنَ الجمالِ والفخامَةِ في المَعْنى.

ثالِثُها: أنَّ في حذْفِهِ إفادَةً للعموم؛ وذلك لِبقاءِ اللَّفظِ صالحًا؛ لِأَنْ يَكونَ اللَّفْظُ المقدَّرُ: يهدي لِلطَّريق التي هي أَقْوَمُ أو لِلْمِلَّة التي هي أَقْوَمُ، أو للطَّرائقِ أوِ الأحوال أوِ السُّنَنِ، أو نحوِ ذلكَ، ولَوْ نُصَّ على الموصوفِ؛ لَكانَ خاصًّا بالمذكورِ[3]، فلمّا حُذِفَ كان شاملًا ذلكَ كُلَّهُ.

فضلُ القُرْآنِ الكَريمِ في هِدايَتِهِ عَلى كُلِّ هِدايَةٍ يَسْتَحْسِنُها البَشَرُ

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ(أَفْعَل) التَّفْضيلِ:

عُبِّرَ بأفعلِ التَّفضيلِ ﴿أَقْوَمُ﴾ مِنْ قولِ اللّه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 380، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 22، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 40.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 40.

(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 59.

﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، لبيانِ فَوَقانِ القرآنِ الكريمِ في هدايتِهِ على كلِّ هدايةٍ يَسْتَحْسِنُها البَشَرُ، فالصّيغةُ على بابها في المفاضلةِ.

وذهبَ أبو حيّانَ إلى أنَّ صيغةَ ﴿أَقْوَمُ﴾ في الآية لا يُرادَ بها التَّفضيلُ، وذلك لعَدَمِ المشاركَةِ بين الطَّريقة التي يُرشِدُ إليها القرآن الكريمُ وبين طريقةِ غَيْرِه، وَإنَّما المرادُ إثباتُ الاستقامَةِ لما يَهْدي القرآن الكريم إليه[1].

وكلامُ أبي حيّانَ فيه نَظَرٌ؛ لأنَّنا لَوْ قَصَرْنا الهدايةَ في الآيةِ على أمورِ الدّيانَةِ؛ فإنَّ الكُتُبَ السّابقةَ - قبل دخول التَّحريف - فيها هدايَةٌ ولا شكَّ، وإذا حُمِلَتِ الهدايَةُ على عُموم الأحوالِ؛ فإنَّ التَّفضيلَ في غايَةِ الظُّهورِ؛ إذْ لا يُنْفى الإرشادُ والدِّلالَةُ عَنْ غيرِ القرآنِ الكريمِ نفيًا عامًّا.

دِلالَةُ حَذْفِ المُفَضَّلِ عَلَيْهِ:

ما يَهْدي إلَيْهِ القُرْآنُ الكَريمُ هُوَ الغايَةُ في القَوامِ

حُذِفَ المفضَّلُ عليه في قولِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ لإفادَةِ العموم؛ إذْ إنَّ حذْفَ المتعلَّقِ مُشْعِرٌ بذلكَ، فكان التَّقديرُ: (إنَّ هذا القرآنَ يهدي للتي هيَ أقْوَمُ مِنْ كُلِّ طريقَةٍ وسُنَّةٍ وحالٍ دعا إليها كتابٌ مِنَ الكتبِ السَّماويَّةِ)[2].

فَفي الحذْفِ إيجازٌ؛ لظهورِ المَعْنى، وأنَّ المقصودَ: للتي هي أقومُ مِنْ كُلِّ ما غايَرَها، فما يَهْدي إليه القرآنُ الكريمُ هو النِّهاية في القوامِ[3].

دِلالَةُ الواوِ في ﴿وَيُبَشِّرُ﴾:

المُبالَغَةُ في بَيانِ عَظَمَةِ القُرْآنِ الكَريمِ

الواوُ في ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ مِنْ قول اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عاطِفَةٌ جملةَ البشارَةِ على جملةِ الهدايَةِ ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، زيادَةً في تعظيمِ القرآنِ الكريمِ ببيانِ أثَرِهِ المتعدّي إلى مُتَّبِعِه والقائمِ بحدودِهِ.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 18.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 381.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 441.

سِرُّ التَّعْبيرِ بالبِشارَةِ في: ﴿وَيُبَشِّرُ﴾:

تَسْلِيَةُ أَهْلِ الإِيمانِ وَتَطْمينُهُمْ

ذُكِرَتِ البشارَةُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنَّهُ لمّا كانَ أهلُ الإيمانِ في أذًى لَحِقَهُمْ مِنَ المُشْرِكينَ بسببِ اتِّباعِهِم القرآنَ الكريمَ؛ ناسَبَ ذلك أن يُعجِّلَ اللهُ سُبحانَهُ لهم البُشْرى في الدُّنيا بعقابِ الكفّارِ؛ تسليةً لَهُمْ وتَطْمينًا[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿وَيُبَشِّرُ﴾:

اسْتِمْرارُ بِشاراتِ القُرْآنِ الكَريمِ وَتَجَدُّدُها

عُبِّرَ عَنِ البِشارَةِ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿وَيُبَشِّرُ﴾، مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، للدَّلالةِ عَلى استمرارِ هذه البشاراتِ وتجدُّدِها، وأنَّها بشاراتٌ تَتْلوها أُخْرى.

أَثَرُ تَعَدُّدِ القِراءاتِ في: ﴿وَيُبَشِّرُ﴾:

التَّكامُلُ الدِّلالِيُّ لِلْقِراءاتِ القُرْآنِيَّةِ

فِعْلُ ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ مِنْ قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قُرِئَ بوجهينِ؛ أَحَدُهما: ﴿وَيَبْشُرُ﴾، وهيَ قراءة حمزةَ والكِسائيِّ، والآخر: ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ وهي قِراءَةُ باقي العشرة[2].

والمخفَّفُ ﴿وَيَبْشُرُ﴾ من قولهم: بَشَرْتُ الرَّجُلَ أَبْشُرُه، أي: غبطتُه بأمرٍ سَرَّه[3]، والمُشَدَّد ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ معناه: الإخبارُ بما تتغيَّر البشرةُ به سُرورًا، وعلى هذا فإنَّ المخفَّفَ أبلغُ؛ إذْ هوَ دالٌّ على حصولِ السُّرورِ قَطْعًا، وأنَّ هذا السُّرورَ لعظَمَتِه؛ غُبِطَ صاحبُهُ عليه.

وذهب كثيرٌ مِنْ أهل العلم إلى أنَّ الفعلين بمعنى واحدٍ، وأنَّ المُخَفَّفَ لغةُ تهامة، والمُشَدَّدَ لغَةُ أهلِ الحجاز[4]، ويَجوزُ أن يَكونَ التَّخفيفُ دالًّا على أَصْلِ البِشارَةِ، والتَّشديدُ دالًّا عَلى تَكْرارِها وكَثْرَتِها.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِوَصْفِ الإيمانِ في: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

التَّرْغيبُ في الارْتِقاءِ إِلى دَرَجَةِ الإيمانِ الكامِلِ

عُلِّقَتِ البِشارَةُ على وَصْفِ الإيمانِ دونَ وصفِ الإِسْلامِ، فقال

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 12.
(2) البنّا الدّمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 355.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 81.
(4) محيسن، المغني في توجيه القراءات العشر: 1/ 330 - 332.

اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ تعليقًا لَها عَلى الوَصْفِ الأَكْمَلِ؛ إذْ درجَةُ الإيمانِ أَعْلى مِن دَرَجَةِ الإسْلامِ، كَما يَدُلُّ عليهِ قَوْلُ اللهِ تَعالى: ﴿*قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: 14]، والنُّكْتَةُ في ذِكْرِ وَصْفِ الإيمانِ التَّرغيبُ في الارْتِقاءِ إلى هذِهِ الدَّرجة العَظيمَةِ لِتَحْصيلِ الجَزاءِ المُرَتَّبِ عَلَيْها.

دلالة التَّعريفِ في ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

عَظَمَةُ البِشارَةِ تابِعَةٌ لِقُوَّةِ رُسوخِ الإيمانِ في نُفوسِ أَهْلِهِ

اللّامُ في ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مِن قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لِلكَمال، أي: الذينَ كَمُلَ إيمانُهُم، فمَعْنى ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: يُبَشِّرُ الرّاسِخين في وَصْفِ الإيمانِ[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ﴾:

العَمَلُ الصّالِحُ مِنْ حَقيقَةِ الإيمانِ شَرْعًا

عُقِّب ذِكْرُ أهلِ الإيمانِ - ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ - بذِكْرِ صفتِهم بالمَوْصولِ وصلَتِه، الدّالّيْن على التَّعظيم، فقال سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ لِجَريانِ الوصْفِ مَجْرى التَّعليلِ، أي: إنَّهم اسْتَحَقّوا وَصْفَ الإيمانِ، فَقيلَ عَنْهُم: (مؤمنون)؛ لأنَّهم عَمِلوا الصّالِحاتِ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالفعل المضارع ﴿يَعْمَلُونَ﴾:

دَوامُ أَهْلِ الإيمانِ عَلى العَمَلِ الصّالِحِ

عُبِّر عَن فِعْلِ العمَلِ بِصيغَةِ المُضارِعِ، فقال سُبحانَهُ: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ لإفادَةِ التَّجدُّد والاسْتِمْرارِ[2]، وأنَّ عَمَلَهُمُ الصّالِحاتِ صارَ - لِدَوامِهِم عَلَيْها - بِمَنْزِلَةِ الطَّبيعَةِ والسَّجيَّةِ لَهُم.

دِلالَةُ حَذْفِ المَوْصوفِ في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

طَيُّ الكَلامِ الذي دَلَّتْ عَلَيْهِ القَرائِنُ اقْتِصادًا في اللَّفْظِ

في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إيجازٌ بالحذْفِ، فقد حُذِفَ الموصوف، وأُبْقيت الصِّفةُ، والتَّقديرُ:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 381.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 381.

الذين يَعْمَلونَ الأعمالَ الصّالِحاتِ، وحُذِفَ اقتصادًا في اللَّفْظِ لظهورِ المحذوفِ وتعيُّنِه بقرينَةِ الفعلِ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ قَبْلَهُ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالجَمْعِ في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

تَـنَـوُّعُ صُـنـوفِ الأَعْـمـالِ الصّالِحَةِ وَكَثْرَةُ أَفْرادِها

جُمِعَتِ الصّالحاتُ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للإيماءِ إلى تنوُّعِها وكثرةِ أفرادِها، فهذه الأعمالُ، وإنْ جمعَها وصفُ الصَّلاحِ إلّا أنَّها مُفْتَرِقَةٌ متنوِّعَةٌ، فهي شامِلَةٌ للصَّلاحِ في معاملَةِ اللّهِ تعالى مِنْ أنواعِ العباداتِ والطّاعاتِ، ومعاملَةِ خَلْقِهِ من صُنوفِ الإحسانِ وضُروبِ مكارِمِ الأخلاقِ[1].

دِلالَةُ اقْتِرانِ الإيمانِ بِالعَمَلِ الصّالِحِ:

الإيـمـانُ شَـرْعًـا قَـوْلٌ وَعَـمَـلٌ وَاعْتِقادٌ

في اقْترانِ الإيمانِ بالعَمَلِ الصّالِحِ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إشعارٌ بأنَّ حقيقَةَ الإيمانِ شرعًا ليسَ مجرَّدَ اعتقاداتٍ لا تُثْمِرُ عملًا، وإنَّما الإيمانُ في الشَّرْعِ قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، فالعمَلُ رُكْنٌ مِنْ أركانِ الإيمانِ لا يُتصوَّرُ وجودُ إيمانٍ دونَهُ.

دِلالَةُ تَقْديمِ الجارِّ وَالمَجْرورِ ﴿لَهُمْ﴾:

أَهْـلُ الإيـمـانِ وَالعَمَلِ الصّالِحِ مُـخْـتَـصّـونَ بِعَـظـيمِ الأَجْـرِ وَجَزيلِهِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿أَجْرًا﴾ مِنْ قولِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾؛ لإفادَةِ القَصْرِ، أَيْ: إنَّ المَوْصوفينَ بالإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ مُخْتَصّون بالأجْرِ الكَبيرِ، وهوَ هُنا الجزاءُ في الدُّنْيا والآخِرَة، أو إنَّ المرادَ به الجنَّةُ، وعَلى كِلا الوَجْهَيْنِ فَإنَّ القَصْرَ حقيقيٌّ؛ إذِ الجَمْعُ بينَ الأَجْرَيْنِ الدُّنْيَويّ والأُخْرَويِّ، أو تَحْصيلُ الأجْرِ الأُخْرَويِّ بِدُخول الجَنَّة مُخْتَصٌّ بأَهْلِ الإيمانِ لا يَشْرِكُهُمْ فيهِ غَيْرُهُم.

وفي هذا حثٌّ عَلى التِزامِ هَذَيْنِ الوَصْفَيْنِ الجَليلَيْنِ لِتَحْصيلِ هذا الجَزاءِ الجَليلِ.

(1) محمَّد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4342.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ لَفْظِ الأَجْرِ:

بَـيـانُ عَـظَـمَـةِ الأَجْرِ وَبيانُ كَثْرَةِ أَفْرادِهِ

نُكِّر لفظُ الأَجْرِ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾؛ تَعْظيمًا لقَدْرِهِ وتكثيرًا لأفرادِهِ، ولتذهبَ النَّفْسُ في تقديرِهِ مذاهبَ مختلفةً شتّى، وذلك أَبْلَغُ أثرًا وأَعْمَقُ[1].

سِرُّ وَصْفِ الأَجْرِ بِالكِبَرِ:

الطَّريقُ الأَقْوَمُ يُثْمِرُ الرِّبْحَ الأَكْبَرَ وَالنَّفْعَ الأَعْظَمَ

وُصِفَ الأجْرُ بالكِبَرِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾؛ وذلكَ لأنَّهُ وُصِفَ القرآنُ الكريمُ بكونِهِ هاديًا للتي هي أقومُ وأعْدَلُ، فناسبَ ذلك أن يَظْهَرَ لِهذا الأَقْوَمِ والأَعْدَلِ أَثَرٌ؛ وذَلِكَ هو الأَجْرُ الكَبيرُ؛ إذِ الطَّريقُ الأَقْوَمُ لا بُدَّ وأن تُثْمِرَ الرِّبْحَ الأَكْبَرَ والنَّفْعَ الأَعْظَمَ[2].

تَوْجيهُ المُتَشابِهِ اللَّفْظِيِّ:

دِقَّـةُ الـبَـيـانِ القُرْآنِيِّ في انْتِقاءِ الأَلْفاظِ المُلائِمَةِ لِسِياقاتِها

قال اللهُ سُبحانه: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، وقال تَعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: 2]، وسرُّ المغايرةِ بينَهما أنَّ آيةَ الإسراء تقدَّمها قولُ اللهِ ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: 7]، فلما كان معنى ﴿حَصِيرًا﴾ في الآية: المحبسَ والسِّجْنَ؛ ناسبَهُ أن يكون الأجرُ كبيرًا مراعاةً لذلكَ، وليتناسبَ لفظُ ﴿كَبِيرًا﴾ مع فاصلةِ ﴿حَصِيرًا﴾، بخلاف سورة الكهفِ؛ فقد صُدِّرت بقوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: 2]، فلما نُصَّ على أنَّ البأسَ كان شديدًا قد بلغَ الغايةَ في الإساءَةِ؛ كان المناسبُ أن يكون الأجرُ ﴿حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: 2]؛ ليقعَ التَّقابُلُ على الوجْهِ الأكمَلِ.

(1) محمَّد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4342.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 304.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

القُرْآنُ وَالكِتابُ:

أَوْصـــــافُ القُـرآنِ الكَريمِ تَتَنَوَّعُ بِحَسَبِ الاعْتِباراتِ

القرآنُ والكِتابُ اسْمانِ مِن أسماءِ كلامِ اللهِ تَعالى المُنَزَّلِ عَلى مُحَمَّد ﷺ، إلّا أنَّ الاختلافَ بَيْنَهُما بالاعْتِباراتِ، فالقُرآنُ وَصْفٌ لَهُ باعْتِبارِهِ مَقْروءًا، والكتابُ وَصْفٌ لَهُ باعتبارِهِ مَجْموعًا مكتوبًا.

وقَدِ اخْتيرَ في كلِّ سياقٍ قُرْآنيٍّ ما يناسبُهُ، ففي قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، اختير لفظُ ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ لأنَّهُ قَدْ رُتِّبَتْ عليهِ الهدايَةُ، وهدايةُ القرآنِ الكريم مُتَوَقِّفَةٌ على قراءته لِفَهْم معانيه، ومن ثَمَّ الاهتداء بهدايته، وليس ذلك مُتَوَقِّفًا عَلى كونه مَكْتوبًا.

الأَجْر وَالثَّواب وَالجَزاء:

الأَجْـرُ وَالـجَـزاءُ يُسْتَعْمَلانِ في المَنافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْـرَوِيَّـةِ، بِخِلافِ الثَّوابِ فَـإِنَّـهُ خـاصٌّ بِالأُخْرَوِيَّةِ

تدلُّ مادَّةُ الأجرِ – الهمزةُ والجيم والرّاء – على مَعْنَيَيْنِ: الكِراء على العمل، وجَبْرُ العَظْمِ الكَسير، ويُجْمَعُ بينَهُما بأنَّ أجرة العاملِ بمنزلة الشَّيءِ الذي تُجبَرُ بها حالُهُ فيما أصابَهُ من كَدٍّ في عملِهِ[1].

وأمّا الثَّوابُ؛ فدالٌّ على العَود والرُّجوعِ، والمرادُ به: ما يعودُ على الإنْسان من جَزاء عملِهِ[2].

وأمّا الجزاءُ؛ فأصله: الغَناءُ والكفايةُ، ويُرادُ به: الكفايةُ مِنَ المُقابلة إن خيرًا؛ فخيرٌ، وإن شرًّا؛ فشرٌّ[3].

والفَرْقُ بينَها[4]: أنَّ الثَّوابَ يُستعمل في الجزاء بالخَيْرِ غالبًا، واستعمالُهُ في الشرِّ أقلُّ، وأمّا الجزاءُ فهو المقابلةُ على الخَيْرِ بالثَّواب وعلى الشَّرِّ بالعقاب، وأمّا الأجرُ؛ فلا يُستعمل إلّا في النَّفع دون الضّرِّ، ويتضمَّن معنَى المعاوَضةِ.

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أجر).

(2) القاضي عياض، مشارق الأنوار: (ثوب).

(3) الرّاغب، المفردات: (جزا).

(4) محمّد محمّد داود، معجم الفروق الدّلالية في القرآن الكريم، ص: 46 - 48، ومحمّد ياس الدُّوري، دقائق الفروق اللُّغويَّة في البيان القرآنيِّ، ص: 164 - 166.

فالأجرُ أخصُّ مِنَ الثَّواب والجزاءِ، من جهةِ اختصاصه بالخير، بخلاف الثَّواب والجزاء فَهُما أعمُّ؛ لجريانِهما في الخير والشَّرِّ.

والثَّواب أخصُّ مِنَ الأجر والجزاء مِن جهة أنَّهُ لا يُستعمل في المنافع المادّيَّة أوِ الدُّنيويَّة، بخلاف الأَجْرِ والجزاء؛ فإنَّهما يَقَعانِ على المنافع الدُّنيَويَّة والمنافع الأُخْرَويَّة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»